المحاضرة الرابعة عشرة؛

علاقة علم المفردات بالعلوم اللغوية.

إن البحث في العلاقة بين "اللسانيات" و"علم المعاجم" يقتضي منا أن نبسط النقاش في العلاقة بين علم المعاجم والفروع اللغوية المكونة لعلم اللغة، وفيما يلي بعض منها :

1.علم المفردات وعلم الدلالة: يعد علم الدلالة من أكثر العلوم الإنسانية التصاقا بـ"المفردات" لكونهما يتقاطعان في قضايا عديدة، إذ يعرف علم الدلالة بأنه »العلم الذي يدرس المعنى ، ويهتم بالتعبيرات الدلالية التي تلحق الكلمات والتعابير والأساليب، ويدرس بكيفية ما اللغة الطبيعية من خلال دراسة مفرداتها. وإذا أردنا أن ننظر في علاقة القريب بين العلمين فإننا سنجد أن "علم الدلالة" يهدف إلى دراسة المدلولات اللغوية التي تشكل القاسم المشترك ليس فقط بينه وبين علم المعاجم بل حتى مع علوم أخرى كالتداولية والسيمولوجية .ومهما يكن من أمر، فعلم الدلالة أقرب العلوم الإنسانية إلى "علم المفردات"، ولعل الإقصاء الذي عرفه كلا العلمين من قبل اللسانيين خير دليل على تداخلهما فيما بينهما. حيث لم يعط للدلالة حقها من الدراسة إلا بعد صدور كتاب "ريتشاردز" و"أوغدن" والمعنون بـ: »معنى المعنى«. وقد عانى علم المفردات بدوره من الإقصاء والتهميش من قبل علماء اللغة ولم تهتم به الدراسات إلا بعد ظهور دراسات وأبحاث كل من "إيسبان" و"تراير" في الحقول الدلالية .ويستفيد من الدراسات الدلالية، ففي تحليل المجموعات المعجمية في ارتباطها مع محتوياتها لن يمكن بدون محاولة تحليل هذه المحتويات إلى السمات المميزة .وهكذا يمكن تطبيق نظرية السمات المميزة على

الوحدات المعجمية المتقاربة دلاليا أو التي تنتمي إلى حقل الترادف. ويتعلق الأمر هنا بالدلالة المعجمية وهي مبحث المعاني المعجمية التي تستفيد من الوحدات المعجمية في حالة تفردها وفي حالة انتظامها في السياق، ومن ناحية أخرى يستلهم علم المعاجم من علم الدلالة النظرية التحليل إلى الوحدات الدلالية لتصفية المفردات واختزالها في هيئة مجموعات أساسية من المفاهيم.

2.علم المفردات وعلم الصرف: علم الصرف هو فرع اللسانيات الذي يتعامل مع البنية الداخلية مباني الكلمات من حيث تكوين عناصرها الأولية، وهو المصدر الأساسي لاتساع اللغة ومنوها بما يوفره من وسائل عديدة لتكوين مشتقات جديدة من العناصر المعجمية وإعادة تلك القائمة بالفعل .وبما أن الصرف له دور في تصنيف الكلمات حسب بنيتها الشكلية، أي حسب الجذور والسوابق واللواحق، وحسب مشتقاتها. وفي تحليل العلاقات الداخلية التي تربط مفردات المعجم وفصائله المختلفة، فإن هذا له فائدته عند الباحث المعجمي الذي يعمل على دراسة وتصنيف الحقول التي تهتم بمظهر الكلمات مثل حقول المشتقات وحقول المفردات التي هلا نفس اللواحق والسوابق، وإن كان يتعدى دراسة مباني الكلمات إلى دراسة الصلة بني مباني الكلمات ومعانيها المعجمية .فالمعجمي باعتباره المنظر والموجه لصانع المعجم مدعو إلى الاهتمام بقضايا الصرف لارتباطها الوثيق بالمعجم، فالجذور تشكل الوحدة الأساسية لبناء المعجم الذي يعتمد المداخل المعجمية في العربية، أما الجذوع فهي تغطي المشتقات .وكذلك يفيد علم المعاجم علم الصرف بالمعطيات الفونولوجية والصرفية، والدلالية والايتمولوجية

(الأصل المعجمي) والتي يحتاج إليها في تطبيق قواعد الصرف المختلفة، حيث تتوقف إنتاجية قواعد تكوين الكلمات في العربية على اعتبارات معجمية مختلفة بديلة للكلمات المراد اشتقاقها، مثل: لا يوجد لفظة "أُسَيْدٌ" في العربية لوجود كلمة "شِبْلٍ" في المعجم على عكس "نُمَرٍ"

3,علم المفردات والصوتيات الوظيفية: إن الوحدة الأساسية لعلم الفونولوجيا هو الفونيم، وإن الوحدة المعجمية في بنيتها الشكلية مكونة من "فونيمات"، وهنا يلتقي علم المعاجم بالصوتيات الوظيفية. فالصوتيات الوظيفية تضع المبادئ والقواعد التي تفسر الظواهر المختلفة للصوت اللغوي كتلك الخلاصة بتنويعه وتنغيمه وعلاقته مع غيره من الأصوات والعناصر اللغوية الأخرى .ومن هنا يتميز علم المعاجم عن الفونولوجيا في كون موضوع هذه الأخير، هو دراسة الفونيمات التي تكون الدال، أما عامل المعاجم فعلى العكس من ذلك فهو يأخذ بعين الاعتبار كلية اللفظ الشكل والمعاني، أي الدال والمدلول .والعلاقات التي تربط منظومة "الفونولوجيا" بمنظومة "علم المفردات" كثرية، نذكر منها مثال: –الشذوذ المعجمي في المعجم العربي وعلاقته بالفونولوجيا مثل: الانفصال بين المفرد وجمعه ومن أمثلته: امرأة، نسوة، وجمع لا مفرد له ومن أمثلته: مساوئ، أبابيل، وشذوذ يف النطق ومن أمثلته "عمرو"، "يس"، "أولئك وتساهم الفونولوجيا مساهمة واضحة في التنظيم المعجمي بصورة غير مباشرة وذلك من حيث دوره في تحديد أبواب الأفعال في العربية، ففي كثير من الأحيان يتعدد باب الفعل دون مبرر نحوي أو دليل، فلا يخرج تعدد الأبواب في هذه الحالة عن كونه بديل فونولوجيا لا يترتب عليه أي تغيري في تعدية الفعل أو لزومه أو اشتقاقه، أو تصنيفاته النحوية الفرعية أو أطره الدلالية، ."

4.علم المفردات وعلم المصطلح: علم المصطلح أو المصطلحية كفرع من فروع الدراسات اللغوية هو علم لساني حديث قد أدى إليه النظر المعمق في المصطلحات في مختلف العلوم والتقنيات فهو مبحث في المصطلحات العلمية والفنية .وقد اختلف المهتمون بهذا العلم في صلته بعلم المفردات، فمنهم من يعد المصطلحية علما مستقلا بذاته لما يراه من مظاهر اختلاف بينه وين علم المفردات، ومنهم من يرى الفصل بين الاثنين فصال مصطنعا ويرى في المصطلحية امتداد لعلم المعاجم. ويشترك علم المفردات وعلم المصطلح معا في كيفية معاجلة ودراسة الوحدات اللغوية، ويمكن القول إن العلاقة بينهما هي عالقة احتواء لكون "الإبداع المصطلحي" الذي هو جزء من النشاط العلمي لا يتعلق إلا بالمعجم، ولو أنه يتوسل بالاطرادات الصرف تركيبية .ولو أردنا إبراز التباين بين علم المعاجم، وعلم المصطلح لوجدناه يمس طبيعة عناصر اللغة. ففي الوقت الذي يهتم فيه البحث المعجمي باللغة المشتركة التي قوامها ألفاظ اللغة العامة، يقتصر جمال اهتمام علم المصطلح على لغة خاصة هي التي تنتظم كل مصطلح علمي أو تقين خصصه الاستعمال في علم من العلوم أو فن من الفنون وصناعة من الصناعات، كان المقصود به هو ما اصطلحوا عليه وتعارفوا على مدلوله، دون ما سوى ذلك من الدالات الأخرى التي قد تكون لتلك الألفاظ فيما يشيع بين عامة متكلمي اللغة .إن هذه اللغة الاصطلاحية تساهم في التواصل بين أهل الاختصاص في الحقول المعرفية المختلفة، وهكذا يظهر لنا التباين بين هذين العلميين في طبيعة الوحدات اللغوية، ففي الوقت الذي يهتم فيه المبحث المعجمي بالمفردات اللغوية "فعال" كانت أو "أسماء"، يقتصر جمال الاهتمام المصطلحي على الاسم باعتباره الأداة الأساسية في التسمية والتعيين، وواضح أن هذا الاهتمام

يشمل الأسماء التي يحمل قيما مفهوميه خاصة .فموضوع علم المعاجم هو البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوناتها وأصولها واشتقاقها ودلالاتها وعلاقاتها ، وموضوع علم المصطلح هو البحث في المصطلحات من حيث مكوناتها ومفاهيمها ومناهج توليدها. ومنطلقنا في هذا التصنيف خضوع الوحدات المعجمية إما أن تكون عامة، وإما أن تكون مخصصة. فإذا كانت عامة كانت لفظا لغويا عاما منتميا إلى الرصيد المعجمي العام قابلا لاكتساب خصائص معينة، مثال الدالة الإحيائية والاشتراك، وإذا كانت مخصصة كانت مصطلحا .وفي إطار التمييز بين علم المصطلح وعلم المفردات على مستوى العالقات الاستبدالية والعلاقات التركيبية التي توجد بين الوحدات المعجمية، جند الدرس المصطلحي يعتمد النوع الأول من العالقات عند دراسة الوحدات المصطلحية لضبط الأنساق المفهومية المنظمة داخل الحقول المعرفية، وهذا يمثل نقطة التقاء مع علم المعاجم، فكلاهما يعمل على رصيد العلاقات الاستبدالية بين دلالات المفردات التي تشكل حقلا دلاليا محددا والاختلاف يكمن في اهتمام علم المعاجم أيضا بالعلاقات التركيبية بين الوحدات المعجمية بطريقة مكثفة، بينما يحتل في البحث المصطلحي مستوى ثانيا، إلا أن هذا لا يعني إمهال العلاقات التركيبية، فغالبا ما ترتكز الدراسة المصطلحية على دور السياق إزالة كل أشكال الغموض والالتباس، فالسياق هو الذي سيوضح لنا المقصود بمصطلحات مثل "جر" و"نصب" و"فتح" و"جذر" التي يطلقها النحاة ومخالفا لما هو معروف في اللغة المشتركة، وكثيرا ما يستخدم اللفظ الواحد عدد من المتخصصين في علوم مختلفة، مثل "الجذر" في اللغة وفي الرياضيات بدلالة مخالفة لما عند الآخر .إن هذه الجولة في علاقة علم المفردات بعلوم مجاورة وعلوم لغوية لتبين لنا

أنه في جمال العلوم الإنسانية، يتبوأ المعجم مكان الصدارة بلا ريب، في العلاقة القائمة بين اللغة والعلوم الإنسانية، وهذه المكانة جعلت علم المعاجم يخضع في صورته الموسعة لمطالب كل الفروع اللغوية، ويتصف بالانفتاح والتسامي ويكتسب أهمية مركزية.

– أن المنظومة اللغوية تتسم بالتماسك الشديد بحيث يصعب الفصل بين عناصرها دون الانتقاص من قيمتها، فبالرغم من أن لكل منظومة فرعية من منظومات اللغة نظمها وقواعدها المميزة لها، فإن ذلك لا يعني الانفصال التام بين قواعدها، إذ من الممكن بل من الضروري، أن تستعين منظومة المعجم بمعطيات صرفية وصوتية وتركيبية ودلالية كما سبق وأن أوضحنا، لكون المفردة جزيء معجمي تساهم في تكوينه عناصر لغوية مستمدة من الأصوات والبنية الصرفية والدالة، ووجود هذه العناصر يجعل المفردة تكتسب خصائصها النحوية والتركيبية .